الرسوم الإنسانية والحيوانية على الأواني الفخارية في سورية خلال عصريّ النيوليت والكالكوليت

الدكتورة مي الحايك

قسم الآثار

جامعة دمشق

الرسوم الإنسانية والحيوانية على الأواني الفخارية في سورية خلال عصريّ النيوليت والكالكوليت

الدكتورة مي الحايك
قسم الآثار
جامعة دمشق

حاول الإنسان منذ العصر الحجري القديم الأعلى رسم الكائنات الحية التي عاصرها وعرفها، مستغلاً ما توفر بين يديه من الموارد الطبيعة للرسم. فبداية جاءت رسوماته مسجلة على جدران الكهوف كما في كهفي لاسكو وألتميرا. ثم تطورت قدرته ومهارته اليدوية، فجسد المحيط الحيواني الذي يعيش من حوله بالنحت على العظم وعلى القطع الحجرية. ومع تطور مهاراته الفكرية ومع الاستقرار الذي جاء مع الثورة الزراعية حاول استخدام مواد جديدة متوفرة بين يديه، ألا وهي مادة الفخار التي ساعدته ليس فقط على حفظ المواد والغذاء بل على تدوين أفكاره برسم رموزه المقدسة. وهذا ما سنحاول استعراضه في هذا البحث الذي كيف استغل الإنسان مادة الفخار في عصري النيولت والكالكوليت لتدوين أفكاره ومعتقداته.

أولاً: الرسوم الإنسانية والحيوانية خلال عصر النيوليت الفخاري:

إن مصطلح النيوليت (Neolithic) يعني العصر الحجري الحديث، وقد استخدم لأول مرة في منطقة البحر الأبيض المتوسط في القرن العشرين. وكانت أريحا[(١)]هي الموقع الذي جاءت منه التسمية، ففيها كشفت حفريات (ك. كينون "Kenyon") عن وجود حلقة من حلقات عصر النيوليت بدون فخار، فاقتُرِحت تسمية عصر النيوليت ما

قبل الفخار، وتم تقسيمه إلى فرعين هما ما قبل الفخار(أ،ب) وفي نفس الوقت اقترح (ر. بريدوود"Braidwood") مصطلحاً نابعاً من علم الأنثروبولوجيا. هذا المصطلح يدمج التجمعات في تفسير اجتماعي-اقتصادي (المقصود بذلك المقومات اللازمة لحياة مستقرة كالمياه والصيد الوفير)، وهو مستوى التدجين الأول ومستوى التجمعات الزراعية الأولى داخل القرى.

إلا إن العلماء أخذوا بتقسيمات (كينون)، فجاءت تقسيمات العصر اعتماداً على التطورات الاقتصادية، وخاصة صناعة الفخار، وهذه المراحل هي:

أولاً: فترة ما قبل الفخار "أ"، ويرمز لها اختصاراً (PPNA) وتمتد بين حوالي ٩٥٠٠- ٨٧٠٠ قبل الميلاد[٢].

ثانياً: فترة ما قبل الفخار "ب"، ويرمز لها اختصاراً (PPNB) وتمتد بين ٨٠٠٠-٧٠٠٠ قبل الميلاد.

ثالثاً: فترة النيوليت الفخاري بين ٧٠٠٠-٦٥٠٠ قبل الميلاد[٣].

اهتم الإنسان خلال فترة ما قبل الفخار " أ-ب" في سورية بتجسيد الحيوانات على شكل دمى وتماثيل مصنعة من الحجارة كما في موقع جرف الأحمر[٤] وجعدة المغارة[٥]. كذلك مثل الإنسان في هذه الفترة على شكل دمى وتماثيل حجرية منحوتة كما في موقع جرف الأحمر. فقد عُثر في هذا الموقع على منحوتتين تمثلان رؤوساً بشرية نحتت بشكل مُعبِّرٍ وجميل[٦]. ولم تقتصر الأعمال الفنية في هذا العصر على التشكيلات، بل قام الإنسان في هذا العصر بنقش ورسم أشكال إنسانية وحيوانية على جدران المنازل كما في تل العبر[٧] فقد عُثر في البيت المسمى (بيت الموزاييك) على بلاطة حجرية نُقشت عليها وبشكل غائرٍ رجلٌ عارٍ يرفع بكلتا يديه قوساً مصوباً باتجاه ثور ضخم[٨]، وعلى جانبه الأيمن شكل الطائر. وفي أساس أحد أعمدة البيت M2 وُجِدت بلاطة أخرى، نقش عليها قرص الشمس، وأشعتها على شكل أرجل الفهد[٩].

وظهرت في موقع جرف الأحمر العديد من الألواح الصغيرة، نقش عليها أشكال هندسية، وحيوانية، وحيوانات من رباعيات الأرجل. من هذه النقوش رسم لطائر البوم يمسك بأرجله حشرة. وتوجد على الوجه الخلفي للوحة رؤوس ثيران، فُسِّرت على أنها قد تكون تدويناً لعدد الثيران(١٠). كما عُثر في تل حالولة(١١)على تمثيلات بشرية ملونة على أرضية أحد المباني، وقد أُنجزت الرسوم باللون الأحمر الداكن من مادة تحتوي على معدن الحديد ويتألف التشكيل من ٢٢ شكلاً بشرياً تخطيطياً وزِّعت حول مربع ذي تخطيطات داخلية(١٢). وقدَّم موقع القرامل نقوشاً على قطعة حجرية، تُظهر شكل غزال، ونهايات سهام بخطوط متعرجة(١٣).

ومن المواد التي استعملت بكثرة في بلاد الشام بشكل عام وسورية بشكل خاص كانت مادة الطين التي استخدمت لتصنيع مواد مختلفة. فقد بنيت المنازل من الطين كما في مواقع أبو هريرة، وتل أسود، والبسطة وعين غزال(١٤). بالإضافة للبناء الخارجي فقد استخدم سكان العصر الحجري الحديث مادة الطين لتشييد المواقد التي كانت تتألف من حفرة غائرة في الأرض مبطنة بإكساء طيني. بالإضافة للبناء فقد استخدم الطين كمادة لتصنيع دمى الآلهة الأم التي وجدت في أغلب المواقع السورية، كما في جعدة المغارة، وتل أسود. هذا ومع نهاية الألف السابع وبداية الألف السادس قبل الميلاد استطاع إنسان العصر الحجري الحديث في سورية التعامل مع مادة الصلصال فقد كانت المجتمعات الزراعية النيوليتية في سورية السباقة في اختراع الأواني الفخارية التي أنتجتها بشكل منظم ودقيق وعلى نطاق واسع، وقد جاءت أقدم الأدلة من موقع تل أسود. حيث وجدت في الطبقات الدنيا (٧-٨) الأواني الفخارية المصقولة ذات اللون الغامق الأسود أو الأحمر البني. من هذه المنطقة انتقلت تلك الصناعة شرقاً إلى الرافدين وغرباً إلى الأناضول وسواحل المتوسط ثم فيما بعد إلى فلسطين(١٥). وقد أعطت منطقة العمق في شمال سورية معلومات متكاملة حول التطور الحضاري لهذه المنطقة تستند إلى تتبع تصنيع الفخار على مدى عدة مراحل، وثبت أن بلاد الشام كلها

قد مرت بها، بحيث أصبح الفخار المادة الأساسية لهذا العصر. تأتي أهمية الفخار ليس فقط من صناعة أدوات التخزين بل أيضاً باعتبارها كأول لوح كتابي. فقد بدأ الإنسان بتنعيم سطوح الأواني الفخارية لإزالة آثار التصنيع، وبعدها تتم تغطيته بطلاء رقيق جداً لإعطائه الشكل المتجانس، بشكل يُمكِّن فيما بعد من إضفاء لون آخر غير لون العجينة الأساسي باستخدام فرشاة لتزيين الأواني. وبرسم أشكال مختلفة متنوعة تراوحت ما بين الأشكال الهندسية والأشكال النباتية. ومن أهم الأشكال الحيوانية التي رُسِمَت على الأواني الفخارية في هذه الفترة ما يلي:

الرسوم الحيوانية:

الثور:

- عُثر في تل صبي أبيض[١٦] على كسرة من الفخار تعود لفترة النيوليت المتأخرة (ما قبل حلف) رُسِم عليها ما يشبه القاعدة وفي أعلاها رسم لرأس ثور بقرون كبيرة متدلية للأسفل، ورَسَم الفنان حولها مجموعة من النقاط (شكل رقم ١).
- هناك كسرة أخرى من تل الصبي أبيض رسم في الجزء العلوي منها مشهد يظهر فيه ثلاثة حيوانات من ذوات القوائم الأربع تقف وراء بعضها البعض وكأنها جزء من قطيع. رسم خط الظهر بشكل مستقيم، والبطن ضامر للداخل، بينما الذيل مرفوع للأعلى دلالة على الحركة. لم يهتم الفنان بتشكيل ملامح الوجه، وعمل على رسم الأذنين والقرون بشكل متعرج. كما ركز الفنان على إظهار عضو الذكورة لدى هذا الحيوانات، ربما مَثَّلت هذه الحيوانات نوعاً من الثيران[١٧] (شكل رقم ٢).

- الغزال:

- اكتشفت في تل الصبي أبيض كسرة من الفخار رُسمَتْ عليها مجموعة من الغزلان تقف في وضعية ثابتة والرقبة طويلة والقرون كبيرة ومقوسة بشكل واضح تدل على أن هذه الغزلان كبيرة في العمر[١٨](شكل رقم ٣).

مجموعة من الحيوانات:

- عثر على كسرة من تل صبي أبيض تعود لفترة ما قبل حلف تمثل مشهداً لمجموعة من الحيوانات والطيور البرية. رسمت على أرضية الكسرة مجموعة من الخطوط العريضة سوداء اللون، ربما تمثل الأرض يقف عليها من اليسار غزال رسم بشكل جانبي. ولم يهتم الفنان بالتفاصيل، فقد رسم خطوطاً مجردة بدون إظهار تفاصيل الوجه. قد رسم البطن والظهر مشدودين وهذا يدل على أن الغزال في حالة عدم حركة والرقبة طويلة، بينما رسم القرن بشكل طويل ومتعرج مما يدل على عمر الغزال الكبير. يقف أمام الغزال نوع من الثدييات الكبيرة لا يظهر منه إلا تفاصيل قليلة فقط: الجزء العلوي من الظهر، والرقبة الطويلة جداً (تشبه رقبة الزرافة)، ولايمكن معرفة تفاصيل الرأس والوجه لأنها في الجزء المفقود من الآنية. تظهر أمام الحيوان الثديي مجموعة من الخطوط السوداء المتعرجة التي توحي بأنها أغصان شجرة. يستمر المشهد برسم طائر فوق ظهر الحيوان الثديي إذ يظهر خط أسود مستقيم ربما يشكل أرجل الطائر الذي رسم بشكل تجريدي دون الاهتمام بالتفاصيل. يقف أمام الطائر حيوان آخر رسم بشكل تجريدي أيضاً والرقبة طويلة وقد ملئ الفراغ بين الطائر والحيوان الثدي بدوائر سوداء مختلفة الأحجام (شكل رقم ٤).

الرسوم الإنسانية:

الرسومات الإنسانية قليلة جداً في هذا العصر. فقد عُثر في تل الصبي أبيض في سوية ما قبل حلف على كسرة من الفخار[١٩]، رسم عليها مشهد فريد، فقد رُسمت مجموعة من الرجال في وضعية توحي بقيامهم بما يشبه الرقصة أو الطقس الديني. فقد اصطفوا وراء بعضهم البعض بحركة متماثلة، فاليد اليمنى مرفوعة إلى الأعلى واليد اليسرى منخفضة قليلاً بحيوية تدل على القيام بحركات باليد. بينما رسمت الرقاب بشكل رفيع ولم يهتم الفنان بتفاصيل الوجه. فقط رسم الأنف بشكل واضح. كما لبس هؤلاء الأشخاص ما يشبه القبعة تتدلى منها خمسة خطوط طويلة تدل على الريش أو القش[٢٠](شكل رقم ٥).

ثانياً: الرسوم الإنسانية والحيوانية في العصر الحجري النحاسي:

مع بداية الألف الخامس قبل الميلاد ظهرت مرحلة جديدة من مراحل عصور ما قبل التاريخ، وهي مرحلة العصر الحجري النحاسي. حيث تدل التسمية على استعمال عنصر جديد "النحاس" لصناعة بعض الأدوات مثل السكاكين، والفؤوس، مع استمرار سكان منطقة شرق البحر المتوسط باستخدام الأدوات الحجرية ممثلة بأدوات الزراعة كالمناجل، وأدوات طحن الحبوب مثل الرحى والهاون. خلال هذه المرحلة تزايد عدد السكان فتنوعت أشكال البيوت، وتقدمت الفنون فاستمروا في تشكيل تماثيل الآلهة الأم، والتماثيل الحيوانية بالإضافة لصنع التمائم، والأختام التي كانت تستخدم في التجارة.

حضارة حلف:

تطورت صناعة الفخار في هذا العصر. ففي القسم الأول من العصر الحجري النحاسي، حيث سكنت المجتمعات التي تنتمي إلى الحضارة الحلفية[٢١] (نسبة إلى

موقع تل حلف، قرب رأس العين في سورية) كان فخار هذه الحضارة مصنعاً باليد من طينة ممتازة، ومقاومة للنار. وكانت جدران الأواني مستديرة، ذات أعناق واسعة ومنفتحة إلى الخارج. فتنوعت صناعة الأشكال حيث استخدم بعضها للاستعمال اليومي كالكؤوس التي استخدمت للشراب، والصحون والجرار التي استخدمت لطهي الطعام. كما ظهرت المزهريات الفخارية المثقبة من الجوانب (المباخر). تميز هذا العصر بالفخار الملون المزين بأشكال هندسية كالخطوط العامودية المتوازية أو الخطوط المتموجة والدوائر، والأشكال النباتية والحيوانية بالإضافة لبعض الرسوم الإنسانية. ومن أهم الأشكال الحيوانية التي رسمت على الأواني الفخارية في هذه الفترة ما يلي:

الرسوم الحيوانية:

الثور:

- في موقع تل يونس[٢٢]عُثر على عدد من الأواني التي رسمت عليها جمجمة الثور بأشكال مختلفة، فعلى أحد الأواني رسم على الحواف رأس الثور بشكل متكرر يفصل فيما بينها مجموعة من الخطوط المتصلة (شكل رقم ٦).
- وعلى إناء آخر من نفس الموقع رسمت مجموعة من رؤوس الثيران. يلاحَظ عدم اهتمام الفنان بتفاصيل الوجه، بينما رسم الأذنين. ورسمت القرون على شكل خطوط مقوسة تشابكت مع بعضها البعض من الأعلى، وفصل فيما بينها بواسطة مجموعة من النقاط السوداء (شكل رقم ٧).
- يُظهر إناء آخر رسماً لجماجم الثيران على كامل محيط الإناء، ويلاحظ هنا أن القرون لم تتشابك مع بعضها البعض، بل فصل فيما بينها صفان من النقاط المرسومة بشكل مستقيم من الأعلى إلى الأسفل (شكل رقم ٨).

- على إناء آخر من تل يونس رسمت مجموعة من جماجم الثيران. حيث رسمت من الأسفل بخطوط مستقيمة وكأن هذه الرؤوس دمى تقف على قاعدة ثابتة. يلاحظ هنا أن القرون لم تتشابك مع بعضها البعض من الأعلى بل كانت متدلية إلى الأسفل، وفصلت ما بين الجماجم مجموعة كبيرة من النقاط السوداء (شكل رقم٩).
- كذلك عثر على إناء زُيِّن بجماجم لرؤوس الثيران فصل فيما بينها بزخارف تشبه النجوم[٢٣] (شكل رقم ١٠).
- عثر في موقع العمق الفترة (س) على بعض الأواني الفخارية التي رسم عليها رأس الثور المقدس.
- في موقع تل حالولة عثر على قطعة فخار أرضيتها صفراء اللون حددت من الأعلى والأسفل بخطوط باللون البرتقالي، رسمت عليها باللون البرتقالي زخرفة على شكل خط شبه مستقيم يتقاطع مع خط مستقيم آخر يمثل ما يشبه اليدين وقد لونت نهايته باللون الأسود. لم يوضح الرسام في حالولة شكل الوجه بل اكتفى بتشكيل القرون التي انتهت أيضاً باللون الأسود. يلاحظ أن الفنان رسم الشكل بتجرد كبير وبعيد عن الواقعية. يمثل هذا الرسم ما يعرف بفترة النيوليت (بجمجمة الثور)[٢٤] (شكل رقم ١١).
- كسرة فخار من مستوطنة الحلفية في أم قصير[٢٥] عليها شكل رمزي لرأس الثور، وهو عبارة عن خط شبه مستقيم يتقاطع مع خط مستقيم آخر يمثل مايشبه اليدين. لم يوضح الرسام شكل الوجه بل اكتفى بتشكيل القرون الكبيرة الحجم والتي ترمز إلى الثور[٢٦]، وهي مشابهة للرسم السابق الذي عثر عليه في تل حالولة.

الأسماك:

عثر في تل كشكشوك[٢٧] على كسرة فخارية بلون أصفر رسمت عليها بلون أسود سمكة وشكلت العين على شكل دائرة بداخلها نقطة سوداء تمثل عين الإنسان، ولوِّن جسم السمكة باللون الأحمر[٢٨]، ويبدو من طريقة فتح الفم تمثيل السمكة بعد اصطيادها (شكل رقم ١٢).

الغزال:

- عثر في العمق (س) على كسرة فخار تعود لفترة حلف الوسيط، وقد لونت بالأحمر والأسود. في الجزء العلوي منها يظهر خط أسود تليه مجموعة من الخطوط المستقيمة باللون الأحمر، وفي نهاية المشهد رسم أيل صغير بوضعية الوقوف بشكل جانبي.
- من تل كشكشوك أيضا جاءت قطعة فخارية رسم عليها صف من الغزلان في وضعية الوقوف شاخصة إلى الأمام. فقد رسم الغزال الأول بشكل كامل تقريباً، الرأس ناظر إلى الأمام مع عدم الاهتمام بتفاصيل الوجه، والقرون طويلة ومتعرجة، والرقبة مستقيمة بشكل واضح، وخط الظهر مشدود لا يوجد فيه أي نوع من الحركة. كذلك بالنسبة للبطن فقد جاء الخط مستقيماً بشكل واضح. أما القوائم الأربعة فلا توجد فيها أي حركة تدل على أن هذا الغزال في وضعية حركة أو تأهب، ورسم الذيل منخفضاً للأسفل. يليه غزال آخر يظهر منه الرقبة والرأس والقرون الطويلة. أما الغزال الأخير فلم يظهر منه سوى القرون فقط[٢٩]. رسمت الخطوط الخارجية للغزلان باللون الأحمر بينما تم تلوين الرسم من الداخل باللون الأسود(شكل رقم ١٣).

الطيور:

ظهر الاهتمام برسم الطيور كما في:

- موقع تل بويضة، إذ عثر على إناء رسم عليه شكل طائر بذيل عريض والرقبة طويل[٣٠] .
- في تل براك عثر على كسرة لآنية فخارية تعود لفترة حلف وقد رسم عليها شكل لطائر، رسم الرأس بشكل دائري والرقبة طويلة، بينما تركت في الجسد فراغات لتظهر وكأنها ريش بني اللون[٣١] (شكل رقم ١٤).

الرسوم الإنسانية:

عثر على كسرة فخار في موقع تل الصبي أبيض من فترة حلف المبكرة، رسم عليها ثلاثة رجال[٣٢] ارتدوا ملابس تنكرية، وكأنهم يمارسون طقساً سحرياً، وقد اصطفوا خلف بعضهم البعض. أولهم من اليسار رُسمت قدماه متجهتين إلى الأمام والركبة منثنية قليلاً. أما الجذع فقد رسم بشكل تجريدي لا تظهر فيه أي تفاصيل سوى أنه ينتهي بما يشبه الذيل. يتدلى من خلف الظهر ما يشبه جناح الطائر المفرود، بينما اليدان مرفوعتان إلى الأعلى قليلاً تمسكان بأداة تشبه القوس، وتنتهيان من الأعلى بشكل يمثل رأس حيوان ذا قرون. أما الرجل الثاني فقد رسمت قدمه اليمنى متقدمة على اليسرى قليلاً والركبة منثنية. لم يهتم الرسام بتفاصيل الجذع الذي ينتهي بما يشبه الذيل أيضاً بينما يتدلى من خلف الظهر ما يشبه جناح الطائر. أما اليدان فتمسكان نفس الأداة التي بيد الرجل الأول. لكن الرسم مشوه هنا قليلاً. أما الرجل الثالث فلم تظهر منه سوى القدمان والتي تدل حركتهما على أنه يسير باتجاه معاكس (شكل رقم ١٥) .

حضارة العبيد:

في نهاية الألف الخامس قبل الميلاد ظهر العبيديون على أنقاض الحلفيين. فانتشرت الحضارة العبيدية في المناطق نفسها التي عاشت فيها سابقاً المجتمعات الحلفية ما سمي فترة العبيد المبكرة (كرأس الشمرة، وتل عقاب، وتل حلف، وشاغاربازار) أي في الجزء الشمالي من سورية. صنع العبيديون الأواني الفخارية التي كانت أقل جودة من الأواني الحلفية ومعظمها بلون واحد هو البرتقالي الفاتح. كما ابتكروا الدولاب البطيء الذي كان عبارة عن قرص مستدير يدور على قائم مركب على وجهه الأسفل. كان القائم يركب عبر مجرى محفور في أرض المنزل. وكان على صبي الخزاف أن يدير الدولاب، بينما يقوم الخزاف باستعمال يديه الاثنتين للعمل. بالرغم من أن هذه الدواليب كانت بطيئة إلا أنها ساعدت على إنتاج أوانٍ أكثر تنوعاً وأشكال متجانسة ومنتظمة[٣٣]. في المرحلتين الثالثة والرابعة ظهر الدولاب السريع في صنع الأواني الفخارية التي أنتجت بكميات كبيرة، لكن نوعيتها تراجعت نسبياً وأصبحت ألوانها عادية وزخارفها بسيطة نوعاً ما. لكن التدني في نوعية الفخار العبيدي لا يعني تراجعاً حضارياً لأن الدور العملي للفخار أصبح أهم من دوره الفني والجمالي. وقد زخرف العبيديون أوانيهم بالأشكال الهندسية والأشكال النباتية والحيوانية بالإضافة للرسوم البشرية. ومن أهم الأشكال الحيوانية التي رسمت على الأواني الفخارية في هذه الفترة ما يلي:

الرسوم الحيوانية:

الطيور:

عثر في تل زيدان[٣٤] على عدد من الكسر الفخارية التي رسمت عليها أشكال حيوانية، ومن هذه الكسر:

- كسرة رسم عليها طائر برقبة طويلة والجسد عبارة عن دائرة كبيرة الحجم فرغت من الداخل لتعطي شكل الريش الملون [٣٥](شكل رقم ١٦).
- حاول الفنان في عصر العبيد رسم مشاهد متكاملة تتضمن عدداً من مظاهر الحياة البرية في بيئته. فقد عثر على كسرة من تل زيدان رسم عليها حيوانان بحجم كبير لم يظهر منهما سوى جزء من الجسد والقوائم الخلفية والذيل، يقف بينهما طائر برقبة طويلة، ورسمت الأرجل وكأن الطائر في وضعية الحركة[٣٦] (شكل رقم ١٧).

الحشرات:

- كذلك رسم الفنان الحشرات، فقد عثر على كسرة لآنية من تل زيادة رسمت عليها مجموعة من الأجسام البيضاوية الشكل تفرع منها ثلاثة أصابع وهي أقرب في الرسم للعقارب (شكل رقم ١٨).
- أما بالنسبة لموقع الشمالي فقد كان الوضع مختلفاً. إذ عثر على إناء من الفخار نقش بداخله بشكل نافر مشهد صراع بين أفعى ونوع من الحشرات المتعددة الأرجل. فشكل الفنان الأفعى زاحفة داخل الإناء، حيث يظهر ذلك من شكل الجسد المتموج، وحدَّد نوعها بالشكل المرقط إذ نقش على ظهر الأفعى العديد من النقاط التي تدل على نوعها، وعند الرأس نجدها تلتف على حشرة متعددة الأرجل في مشهد يصور الطبيعة بشكل واقعي (شكل رقم ١٩).

الرسوم الإنسانية:

استمر في عصر العبيد رسم الإنسان على الأواني الفخارية. فقد عُثر في تل زيدان أيضاً على آنية رسم عليها منظر لرجلين وقد تشابكت أيديهما مع بعضهما البعض. فرسم الرأس بشكل تجريدي على شكل دائرة تخلو من أي تفاصيل لملامح

الوجه. بينما رسم الجذع على شكل مثلث مقلوب، فهو عريض من الأعلى يضيق باتجاه الأسفل ليبدو الخصر ضيقاً ونحيلاً. حاول الفنان الاهتمام باليدين. فكان الساعد عريضاً بما يمثل لعضلات قوية، ولونت اليدان باللون الأسود لتظهر مغايرة لباقي أجزاء الجسد. رسم الفنان داخل الجذع مجموعة من الخطوط المتقاطعة مع بعضها البعض بما يشبه الزخرفة المثلثية الشكل لتعطي إيحاءً بملابس أو سترة[٣٧] (شكل رقم ٢٠). هذا المشهد هو جزء من منظر متكامل لم يبقَ منه سوى هذا الجزء فقد تشابكت اليدان اليمنيان فقط بينما اليسريان تمتدان لتقابل يد إحداهما الأخرى في الجزء المكسور من الآنية.

الخاتمة:

تنوعت الرسوم على الأواني الفخارية خلال عصري النيوليت والكالكوليت، وجاء اهتمام الفنان بالدرجة الأولى بتصوير جماجم الثيران التي تعد استمراراً لتقديس أو عبادة هذا الحيوان، التي ظهرت منذ العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار "أ" من خلال وجود قرون الثيران أو جماجمها موضوعة أو مغروزة في مصاطب أو جدران المباني كما في موقع المريبط. كما رسمت على جدران المعابد في شاتال هيوك في الأناضول نسور وثيران وللثيران رؤوس مقولبة من الجص ولها قرون حقيقة ناتئة خارج الجدران. تمثل هذه الرسوم الجنس الذكري ممثلاً بالثور ومقابله الجنس الأنثوي الذي يرمز له النسر.

الثور ركز الفنان في عصري النيوليت والكالكوليت في سورية على تصوير الحيوان دون الاهتمام بتفاصيل الوجه بل اهتم بتصوير القرون التي تمثل رمزاً للقوة والفحولة. كما في كل حضارات البحر المتوسط تقريباً. ففي بلاد الرافدين كان الثور رمزاً لإله الخصب الكبير، وكان الحيوان المرمز لخصوبة القطعان. وفي مصر كان يرمز للقوة وللخصب. فقد صور الملك نعرمر على هيئة ثور يدحر الأعداء. وقد كان

الثور "أبيس" منذ عهد الأسرة الملكية المصرية الأولى، الإله الزراعي رمز التوالد والقوة المخصبة.

كما يمكن القول أن تصوير الثور أو البقرة في تل يونس تحيط بها علامات تشبه النجوم يدل على قدسية خاصة لهذا الحيوان وارتباطه بالسماء والآلهة كما لدى قدماء المصريين فقد كانت الإلهة حتحور الحامية للفرعون، أو مرضعته لكي تنفث فيه اللبن الإلهي، وحياة الآلهة نفسها، ممثلة غالباً برأس بقرة لا يظهر منها سوى الرأس أو حتى الآذان والقرون تحيط بها النجوم وهذا مشابه لرسم تل يونس.

أيضا رسم الغزال أو الوعل الذي كان يصطاده إنسان ما قبل التاريخ بكثرة. ففي موقع أبو هريرة كانت عظام الغزلان تمثل ٨٠ بالمئة من مجموع العظام التي عثر عليها بالموقع، وهذا يدل على مدى اعتماد سكان سورية في عصور ما قبل التاريخ على هذا الحيوان كمصدر للغذاء، ولعل الغزال كان يرمز أيضاً لتجدد الحياة. فهو يفقد قرونه في فصل الشتاء لتعاود إنباتها في الربيع بشكل أكثر فخامة. والفنان في عصور ما قبل التاريخ لم يرسم إلا الغزلان الكبيرة التي يمكن الاستدلال على عمرها من القرون الكبيرة المتعرجة، ولعله يرمز بذلك للقوة والفحولة لدى هذه الحيوانات. ونضيف أنه في عصور لاحقة رمزت تشعبات قرونه للجنس الذكوري، وكان الأيل عند الحثيين رمزاً لإله الثروة. وعند الإغريق والرومان كان الأيل أو الغزال الحيوان المكرس أساساً للربة "ارتيمس أو ديانا". وفي عصر النهضة كان الأيل أو الغزال رمزاً للتوالد واستمرار الحياة.

كذلك من العناصر التي تم رسمها على الأواني الفخارية كانت الأسماك باعتبارها جزءاً رئيسياً من النظام الغذائي، وهي لا تتطلب التربية وتنتج بسهولة في تلك الفترة. إذ أن المواقع التي تم الكشف فيها عن هذه اللقى تقع على ضفتي نهر الفرات الغني بالثروة السمكية. استمرت السمكة في العصور اللاحقة كرمز من

الرموز الدينية الدالة على البركة والعطاء. ففي الفن الروماني وفي الفسيفساء بصورة خاصة ظهرت مشاهد صيد الأسماك، وقد فسرها العلماء بالمعنى الرمزي والقيمة الخيرة المرتبطة بالصيد، كما رمز السمك في الديانة المسيحية للسيد المسيح.

كذلك يلاحظ اهتمام الرسام برسم الطيور التي لم تصور قبل عصر حلف سواء كتماثيل أو نقوش. ركَّز الفنان على تصوير طائر القطا بشكل خاص، الذي يشبه النعام في شكله وليس في حجمه باعتباره من الحيوانات التي كانت منتشرة ولا زالت في منطقة الفرات السورية. وجاءت أغلب الرسوم تصور الطائر وهو بوضعية الوقوف لأنه من المعروف عن هذا النوع من الطيور بأنها سريعة في العدو وغير قادرة على الطيران.

هذا وقد رسمت بعض الحشرات كالعقارب، التي رسمت للمرة الأولى على إحدى لوحات موقع جرف الأحمر أي منذ عشرة آلاف سنة خلت. تعتبر العقارب من الكائنات التي تشكل خطراً على حياة الإنسان، فجاء رسمها كنوع من اتقاء شر هذه الكائنات. كما رسم على الفخار في بلاد الرافدين كي يرمز لأفكار الخصوبة كما يعتقد العالم "باروا". كما كان العقرب حارساً لأبواب السماء في (أور) في الألفية الثالثة قبل الميلاد. وقد حمل المصريون تعويذات على شكل العقرب للوقاية من هذا الحيوان. في الفترات التاريخية اللاحقة قام الإنسان بتأليهه فأصبح رمزاً للربة (سيلكت) عند الإغريق، الدالة على القدرات الشفائية.

لم يكن ظهور الأفعى على أواني العبيد هو المرة الأولى التي يتم تجسيد هذا الكائن في فترة ما قبل التاريخ. فأقدم دليل على تمثيل الأفعى في بلاد الشام يعود إلى الألف العاشر قبل الميلاد في موقع جرف الأحمر في سورية، وقد نحتت الأفاعي مترافقة مع أشكال حيوانية أو أشكال هندسية. كما وجدت لوحة حجرية عليها خطوط على شكل ثعابين في موقع جعدة المغارة في سورية. إن تشكيل الأفاعي منذ عصور

ما قبل التاريخ إلى وقتنا الحالي يعود لخوف البشر من هذا الكائن. إذ يعد الثعبان من أكثر الكائنات رمزية لدى الشعوب. فالثعبان رمز جهنمي أو تحت أرضي، ذلك لأنه يغيب في بطن الأرض عدة مرات في اليوم، ويبقى في الأرض كل الليالي وكل فصل الشتاء. عند الفينيقيين كان شعار الإله الطبي "يسمون" عصا يلتف حولها ثعبان وكذلك كان رمزاً عند الإغريق والرومان. كما أنه أصبح شعار الصحة العالمي في وقتنا الحالي. ووجود رسم الأفعى داخل إناء منذ نهاية الألف الخامس يدل أن هذا الإناء كان يستخدم لأغراض دينية ولممارسة طقوس معينة كمعالجة المرضى.

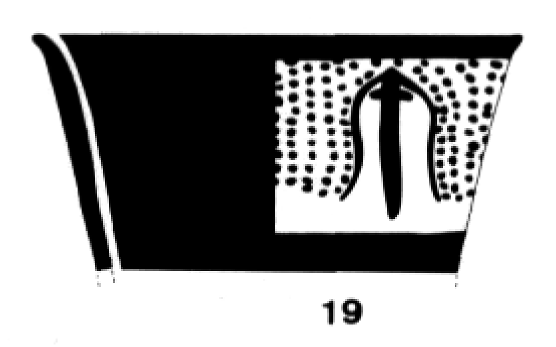
أما الرسومات الإنسانية فقد جاءت قليلة ومنفردة، أي لم يصور الإنسان مع غيره من الكائنات الأخرى على عكس بعض مواقع بلاد الرافدين التي تعود لنفس الفترة. فقد صور الإنسان مع الحيوانات كما في تل العربجية، وجاءت هذه الرسومات موجزة بعض الشيء، بمعنى أن الفنان لم يحاول رسم ملامح الوجه، بل اكتفى بالتعبير عنه بشكل الرأس الدائري والجسد على شكل خطوط تجريدية. بالرغم من الرسم التجريدي للجسد البشري إلا أنها كانت مليئة بالحركة المعبرة عن حركات راقصة كما في تل الصبي أبيض. فقد ارتدى الرجال ملابس تنكرية مستخدمين الريش الذي استخدم للتنكر ولدلالة على أشخاص بعينهم في المجتمعات القديمة. فالقبعة العالية المزينة بالريش ترمز في الفن المصري القديم للربة "ماعت" رمز القانون، والحقيقة والعدالة، والتي تعمل على وزن الأرواح مع "أنوبيس". كذلك ما يزال إلى يومنا هذا يستخدم في بعض القبائل البدائية حيث يقوم الشامان (الطبيب المعالج في هذه القبائل) باستخدام الريش للتنكر وممارسة الطقوس السحرية الخاصة بهم. ولابد أن الإناء الذي عثر عليه في تل الصبي أبيض يمثل مشهداً طقسياً، والأواني التي رسمت عليها كانت عبارة عن أوانٍ نذرية توضع في المعابد.

ويمكن القول بأن هناك العديد من الفرضيات التي تحاول تفسير هذه الرسوم منها:

- نظرية الفن لأجل الفن: تصوِّر إنسان ما قبل التاريخ كمحب للجمال، كان همه اقتناء الحسن والمتعة. لكن رسم هذه الأشكال على قطع معينة من الأواني الفخارية دون غيرها يجعل هذه الفرضية غير مقبولة فمفهوم الفن لأجل الفن لايمكن أن يواجه إلا بدءاً من تطور علم الجمال في وسط ذي مستوىً عالٍ من التحضر.
- نظرية القدرة السحرية: تفترض هذه النظرية بأن التمثيلات الحيوانية قد رسمت بهدف سحري متعلق بالصيد، فهي تساعد الإنسان على اصطياد هذه الحيوانات بسهولة أكثر، وبقدرته على السيطرة عليها.
- يعتقد العالم "كينيت كلارك" أن الإنسان قد شعر بضعفه أمام هذه الحيوانات وإعجابه بقوة هذه الحيوانات، وهذا يدل على الطوطمية التي انتشرت في العصور اللاحقة لعصور ما قبل التاريخ والتي مازالت منتشرة لدى العديد من القبائل والشعوب حتى الآن كسكان الأمازون وسكان أستراليا الأصليين.
- هناك من العلماء من يعتقد بأن هذه الرسوم ماهي إلا نوع من التقديس لهذه الحيوانات خوفاً من أن يحمل الإنسان مصير الحيوان ذاته المقتول في الصيد.

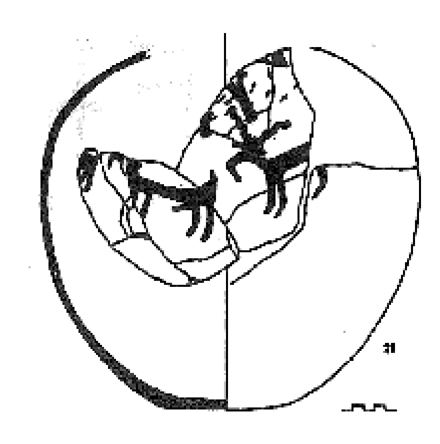
ولربما كانت هذه الرسوم نتيجة خوف الإنسان من محيطه الحيواني وخشيته من أن يكون هو الفريسة، فبالتالي إن رسوم الحيوانات في فترة ما قبل التاريخ كانت وظيفتها الرقية والحماية من هذه الحيوانات. ومهما يكن سواءً كانت هذه الرسومات أملاً سحرياً أو خوفاً من السحر فإنها في النهاية تدل على التفاعل بين الإنسان والحيوان والطبيعة المحيطة به بشكل عام والتي هي المصدر الرئيسي لاستمرار وجوده.

الأشكال



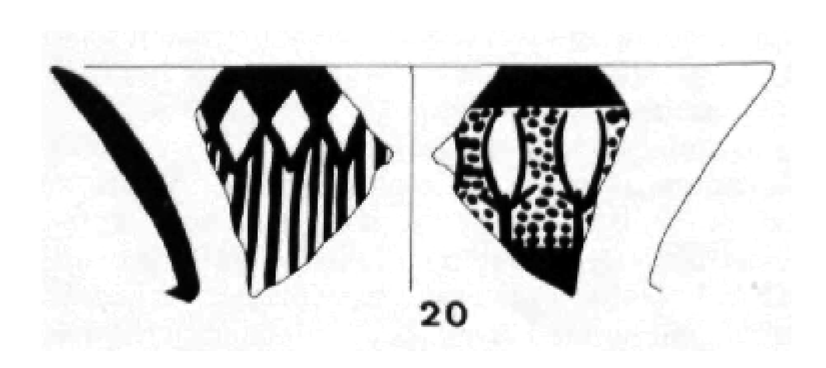
شكل رقم ١: جزء من آنية فخارية رسم عليها رأس ثور، تل صبي أبيض

Akkermans, P.M.M.G ١٩٨٧

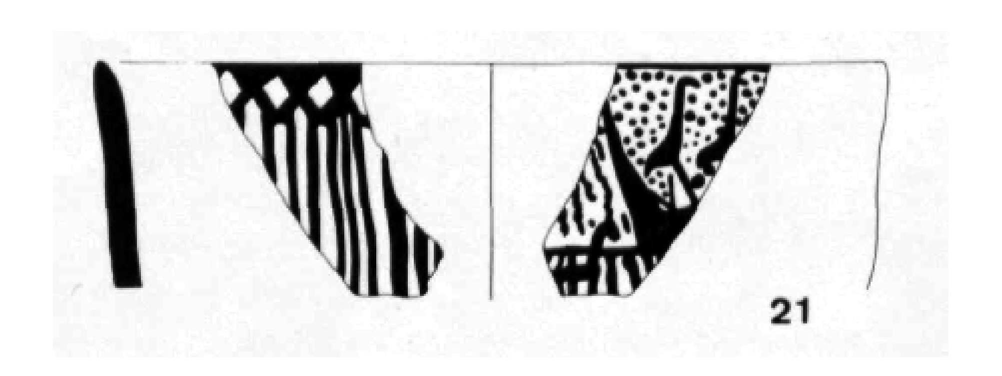


شكل رقم ٢: جزء من آنية فخارية رسم عليها ثوران، تل الصبي أبيض،

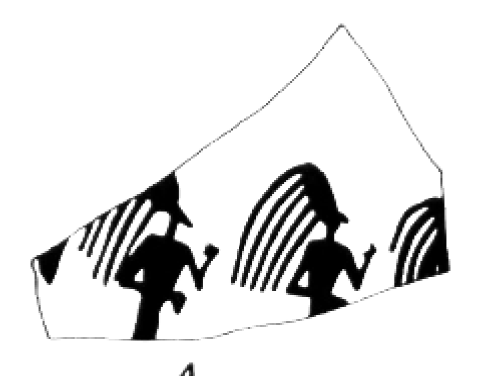
سلطان محيسن، ٢٠٠٨، ص ٤٢٤



شكل رقم 3: كسرة فخارية رسم عليها رأسي غزالين، تل الصبي أبيض،
Akkermans, P.M.M.G،١٩٨٧.

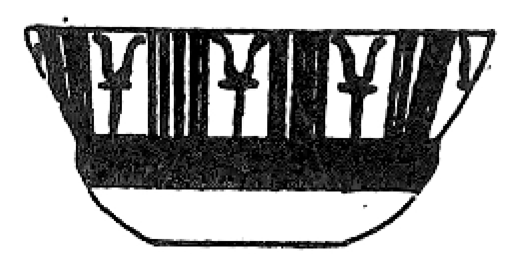


شكل رقم 4: كسرة فخارية رسم عليها مشهد طبيعي يمثل مجموعة من الحيوانات، تل صبي أبيض، Akkermans, P.M.M.G ،١٩٨٧



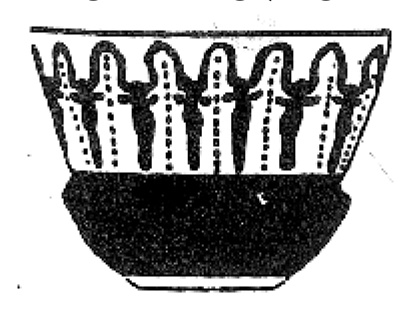
شكل رقم ٥: كسرة فخارية رسم عليها أشكال إنسانية، تل الصبي أبيض،

١٩٨٧، Akkermans, P.M.M.G



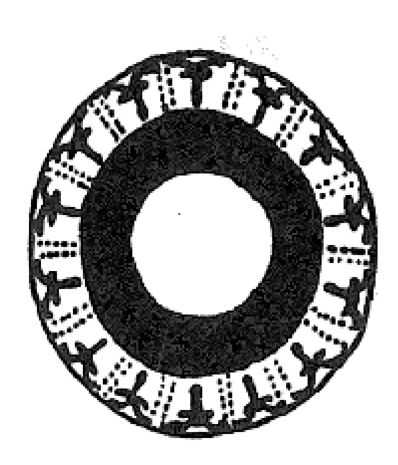
شكل رقم ٦: آنية فخارية رسم عليها جماجم، تل يونس،

سلطان محيسن، ٢٠٠٨، ص ٣٧



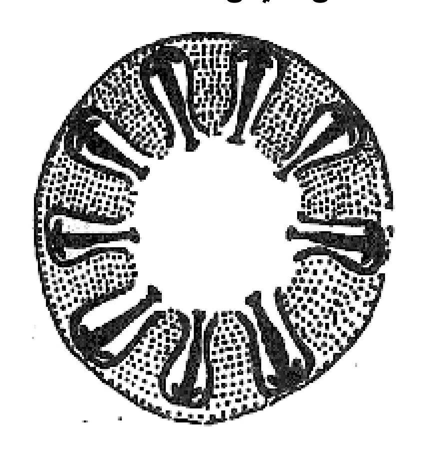
شكل رقم :٧ آنية فخارية رسم عليها جماجم ثيران، تل يونس،

سلطان محيسن، ٢٠٠٨ ،٣٧٠



شكل رقم ٨: **آنية فخارية رسم عليها جماجم ثيران، تل يونس،**

سلطان محيسن، ٢٠٠٨ ،٣٧٠



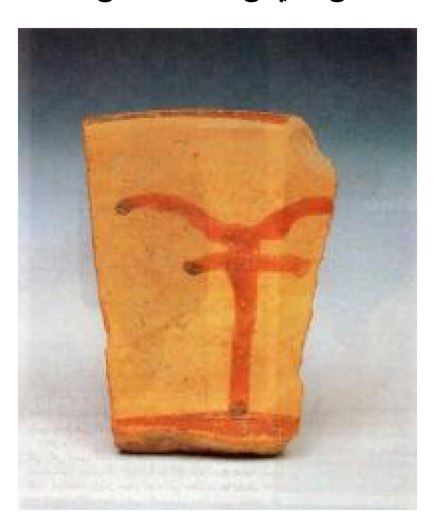
شكل رقم ٩: **آنية فخارية رسم عليها جماجم ثيران، تل يونس،**

سلطان محيسن، ٢٠٠٨، ٣٧٠



شكل رقم ١٠: آنية فخارية رسمت عليها جماجم، تل يونس،

سلطان محيسن، ٢٠٠٨، ص٣٧٠



شكل رقم ١١: قطعة من الفخار رسم عليها رأس ثور، حالولة، عن

ميشيل فورتان، ص ١٧٣



شكل رقم ١٢: كسرة فخارية رسم عليها رأس سمكة تل كشكوك،

ميشيل فوتان، ٢٠١٢، ص ١٧٣



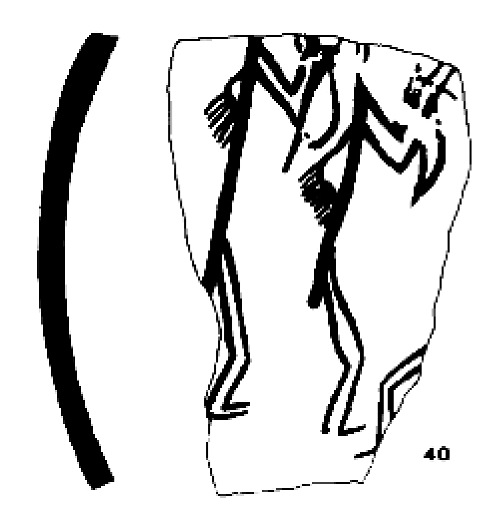
شكل رقم ١٣: كسرة فخارية رسم عليها رأسي غزالين، تل كشكوك،

ميشيل فوتان ٢٠١٢، ص ١٧٣



شكل رقم ١٤: كسرة فخارية من تل براك فترة حلف رسم عليها طائر،

Oates D., 1994



شكل رقم ١٥: كسرة فخارية رسمت عليها أشكال إنسانية، تل صبي أبيض،
١٩٨٧،Akkermans, P.M.M.G



شكل رقم ١٦: كسرة فخارية رسم عليها طائر، تل زيدان العبيد،

Banzo, 2005Waller Crulls

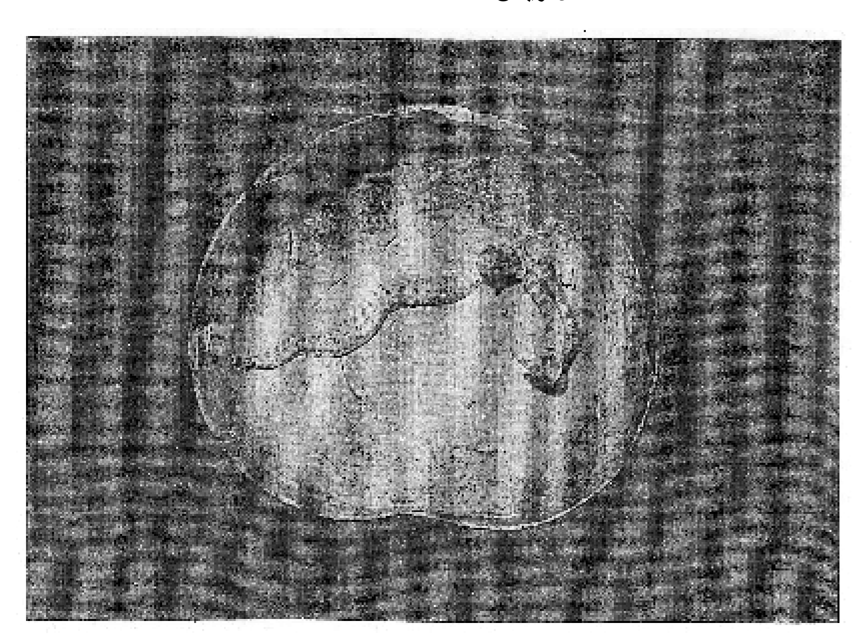


شكل رقم١٧: كسرة فخارية رسم عليها مشهد لحيوانات مجترة وطائر، تل زيدان

فترة العبيد، Gil. Stein 2009



شكل رقم ١٨: كسرة فخارية رسمت عليها مجموعة من العقارب المتصلة ببعضها البعض، تل زيدان، Gil. Stein ٢٠١٠



شكل رقم ١٩: إناء من الفخار يظهر في داخله ثعبان يتصارع مع حشرة متعددة الأرجل



شكل رقم ٢٠: كسرة فخارية رسم عليها رجلان وقد شبكا أيديهما، تل زيدان، فترة العبيد، Gil. Steir , ٢٠١١

الهوامش

(١) تقع أريحا (تل السلطان) في وادي الأردن في فلسطين، اكتشف للمرة الأولى خلال خمسينيات القرن الماضي على يد كاثلين كنيون.

(٢) التأريخ الوارد في المقالة هو تأريخ حديث وليس التأريخ المعير والتواريخ غير المعيرة تعتمد على طريقة الفحم المشع فقط، وهي أحدث من التأريخات المعيرة الحديثة التي دفعت عصر النيوليت بحوالي ٢٠٠٠ سنة أقدم مما كان متعارفاً عليه.

(3) Bar- Yosef, 1998, The Natufian Culture in the Levant, Threshlod to the Origins of Agriculture, Evolutionary Anthropology, P159.

(٤) يقع الجرف الأحمر على الضفة اليسرى لنهر الفرات على بعد حوالي ٢كم من منطقة سد تشرين في محافظة حلب، منطقة منبج ١٠٠ كم إلى الشمال من حلب. بدأت التنقيبات في الموقع عام ١٩٩٥ وانتهت عام ١٩٩٩، يعود التل إلى عصر النيوليت ما قبل الفخار"أ".

(٥) موقع جعدة المغارة يقع على الضفة اليسرى للفرات الأعلى على بعد ٣٠ كم إلى الجنوب من جرابلس. بدأ التنقيب في الموقع عام ١٩٩١، وتم الكشف فيه عن سويات ما قبل الفخار "أ" وما قبل الفخار "ب".

(٦) محيسن، سلطان: ٢٠٠٨، **عصور ما قبل التاريخ**، منشورات جامعة دمشق، ص٢٨٩.

(٧) يقع تل العبر على الضفة اليسرى للفرات في الجزيرة السورية ويبعد حوالي ١٥كم عن الحدود السورية التركية، وهو من مواقع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار "أ" ويؤرخ بالألف العاشر قبل الميلاد.

(8) Yatah T, 2004, les batiments communtaires de Tell, Abr3 (PPN Syrie), Neolithic 1/5. P.4.

(٩) يرتة، ثائرن ٢٠٠٣م، **التقرير السنوي الأول لموسم التنقيبات الثالث في موقع تل العبر**، المديرية العامة للآثار والمتاحف، ص ١٦.

(١٠) جاموس، بسام، ٢٠٠٦م، **الجرف الأحمر**، قرية من الألف العاشر قبل الميلاد، ص٢٥.

(١١) يقع موقع حالولة في منطقة الفرات الأوسط في سورية، ويعد من أهم المواقع العائدة إلى المرحلة الوسطى والحديثة من عصر النيوليت ما قبل الفخار(ب).

(12) Molist M., 1997, sur le site de Tell Halula valley de l Euphrate en Syria, DGAM Syrie.p.19.

(١٣) مازروفسكي، ٢٠٠٢، **التقرير الأول للتنقيبات الأثرية في تل القرامل**، الموسم الرابع ٢٠٠٢ م، المديرية العامة للآثار والمتاحف، ص ١٥.

(١٤) تموم ن جمال، ٢٠١١، **الجذور ما قبل التاريخية للحضارات التاريخية الباكرة في المشرق العربي القديم**، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، ص١٠٨.

(١٥) محيسن، سلطان:٢٠٠٨، **عصور ما قبل التاريخ**، ص٢١٥.

(١٦) يقع موقع صبي أبيض في وادي البليخ ويعد من أهم المستوطنات بين نهاية عصر النيوليت وبداية حلف.

(١٧) محيسن، سلطان:٢٠٠٨، **عصور ما قبل التاريخ**، ص٤٢٤.

(18) Peter M.M.G. Akkermans, 1992, The 1988 Excavations at tell Sabi Abyad, a later Neolithic Syria, American Journal of Archaeology, Vol,96, No 1, P.P 1-22.

(19) Akkermans, P.M.M.G, 1987, A late Neolithic and Early Halaf Village at Sabi abyad, Northern Syria, Paleorient, Vol 13\1, p 25.

(٢٠) محيسن، سلطان: ٢٠٠٨، ص٢٤١.

(٢١) تل يونس يقع بالقرب من حماة بالقرب من موقع كركميش، أنشئت في تل يونس بيوت دائرية مقببة من النوع المسمى تولوسن التي تشبه خلية النحل.

(٢٢) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(23) Ibid,p.20.

(٢٤) تقع مستوطنة أم قصير على الضفة اليسرى لنهر الخابور، جنوب الحسكة، أثبتت الحفريات وفيها وجود استيطان من العصر النحاسي.

(25) Hole F, Johanson G.A; 1990,umm qseir,Syria, Raport Preliminaire, DGAM.

(٢٦) تتوضع تلال كشكشوك حوالي ٢٠كم شمال غربي الحسكة، وهي عبارة عن أربعة تلال مرقمة من ١-٤.

(٢٧) ميشيل فورتان: ٢٠١٢، **سورية أرض الحضارات**، ص ١٧٣، مطابع وزارة الثقافة، دمشق.

(٢٨) المرجع السابق، ص١٧٣.

(29) Banzo, 2005Waller Crulls: Origens, Emegenci Desenvolupament De La Ceramica Halaf Siria, p87.

(30) Oates D., 1994, Tell Barak, Iraq 56, P 100.

(31) Akkermans P M M g., 1995,AN Image of complexity the Burnt village at Late Neolithic Sabi Abyad, Syria, American Journal of Archaeology, N99, P.5.

(32) Robert A. Beyond the Ubaid

(٣٣) تل زيدان تل أثري ضخم شديد الانحدار، يتوضع على الحافة الشرقية لنهـــر البليخ. تم من خلال أعمال التنقيب في التل تحديد المراحل الزمنيـــة التاليـــة: حلـــف، العبيد، أوروك، عصر البرونز، عصر الحديد، الفترة الهلنستية.

(34) Gil. Stein 2009, Tell Zeidan , P105, The Oriental institute ,Annual Report.

(35) Gil. Stein 2010, Tell Zeidan , P126, The Oriental institute ,Annual Report

(36) Gil. Stein 2011, Tell Zeidan , P137, The Oriental institute ,Annual Report

المراجع العربية والأجنبية

- تموم، جمال، ٢٠١١ م، الجذور ما قبل التاريخية للحضارات التاريخية المبكـــرة في المشرق العربي القديم.
- جاموس، بسام، ٢٠٠٦، الجرف الأحمر، قرية من اللف العاشر قبل الميلاد.
- فورتان، ميشيل، ٢٠١٢، سورية أرض الحضارات، مطابع وزارة الثقافة.
- محيسن، سلطان، ٢٠٠٨، عصور ما قبل التاريخ، دمشق.
- يرته ثائر، ٢٠٠٣، التقرير السنوي الأول لموسم التنقيبات الثالث في موقع تـــل العبر، المديرية العامة للآثار والمتاحف.
- مازروفسكي، ٢٠٠٢، التقرير الأول للتنقيبات الأثرية في تل القرامل، الموســـم الرابع ٢٠٠٢، المديرية العامة للآثار والمتاحف.
- Akkermans, P M M g, 1987, A late Neolithic and Early Halaf Village at Sabi abyad, Northern Syria, Paleorient, Vol 13\1, p 25.
- Akkermans P M M g., 1995,AN Image of complexity the Burnt village at Late Neolithic Sabi Abyad, Syria, American Journal of Archaeology, N99, P.5.
- Banzo, 2005 Waller Crulls: Origens, Emegenci Desenvolupament De La Ceramica Halaf Siria, p87.
- Oates D., 1994, Tell Barak, Iraq 56, P 100.
- Bar- Yosef, 1998, The Natufian Culture in the Levant, Threshlod to the Origins of Agriculture, Evolutionary Anthropology, P159.
- Gil. Stein 2009, Tell Zeidan, P105, The Oriental institute, Annual Report.
- Gil. Stein 2010, Tell Zeidan , P126, The Oriental institute, Annual Report
  - 1/5. P.4.-
  - Gil. Stein, 2011, Tell Zeidan , P137, The Oriental institute ,Annual Report

- Hole F, Johanson G.A; 1990, umm qseir, Syria, Raport Preliminaire, DGAM
- Molist M., 1997, sur le site de Tell Halula valley de l Euphrate en Syria, DGAM Syrie.p.19.
- Peter M.M.G. Akkermans, 1992, The 1988 Excavations at tell Sabi Abyad, a later Neolithic Syria, American Journal of Archaeology, Vol,96, No 1, P.P 1-22.
- -Yatah T, 2004, les batiments communtaires de Tell, Abr 3 (PPN Syria), Neolithic.